



الإشارات الخطابية والاجتماعية قراءة في مصنفات الرّجّاج

الباحث : فلاح علي سلمان

أ.د أسيل متعب الجنابي

كلية الآداب/ جامعة واسط

Falahali117@gmail.com

07811775774

تاريخ الاستلام: 2020/7/22

تاريخ القبول: 2020/9/25

المُلخَص:

يمثل هذا البحث جانبًا من جوانب الدرس اللغوي اللساني الحديث، إذ يُعني بدراسة بحث تداولي من مباحث التداولية في كتب المفسر واللغوي الكبير (الرّجّاج ت 311هـ)، وهو بحث الإشارات الخطابية والاجتماعية، إذ يعد من المباحث المهمة في الدراسات اللسانية التداولية المهمة؛ لما تكشف عنه الإشارات الخطابية، والاجتماعية من دلالات تعبيرية تؤديها تلك الإشارات، وتكشف عن ما تحيل إليه من مراجع، والجدير بالذكر أنّ هذه العمليات التداولية لا تتم إلا عندما ترتبط الألفاظ بعلاقات مع بعضها داخل السياق؛ لتكشف عن التواصل بين أطراف الخطاب.

الكلمات الدالة: الإشارات الخطابية، الإشارات الاجتماعية، التداولية، الرّجّاج.



Discourse deictics and social deictics at AL-Zajaj

Researcher: Falah Ali Salman Asst: Prof Aseel Miteb Al-Janabi

College of Arts Wasit University

Receipt date: 22/7/2020

Date of acceptance: 25/9/2020

Abstract:

This research represents an aspect of the modern linguistic lesson, which is concerned with a study of deliberative research from the parliamentary investigation of the large linguistic and interpreted books (AL-Zajaj 311e), which is an important discussion of the rhetorical and social deictics and is considered an important research in important parliamentary studies; The fact that the discourse and social deictics reveal their meanings and reveal their deictic is revealed, and reveal what they refer to from references, it is worth noting that these deliberative operations do not take place only when the words are related to each other within the context; to reveal the communication between the parties to the speech.

Keywords : discourse deictics , social deictics , parliamentary, and Al-Zajaj

المقدمة:

فتعد الإشارات من مباحث التداولية التي أسهمت في تحليل الخطاب، وبيان المراجع التي تشير إليها الألفاظ أو السياق، أو هما معاً؛ لما تحمل من تعبيرات لغوية، ودلالية، تكشف عن ما وراء النص، وغالباً تحيل الإشارات إلى خارج النص، وهذا رأي التداوليين.

وقد وقع الاختيار على كتب العالم اللغوي والمفسر النحوي الكبير (الشيخ الرّجّاج ت311هـ)؛ لما تحمل مآثره من معلومات ذلت ثراء لغوية وتفسيري تصلح للبحث التداولي، لاسيما قلة الدراسات اللسانية التي تناولت كتب الرّجّاج، لذلك جاء البحث ليكشف عن المجال الإشاري الذي يخدم التواصل بين أطراف الخطاب. وقد اقتضت طبيعة البحث الوقوف أولاً على دراسة الإشارات الخطابية، بعد مقدمة عن التعريف بالإشارات بشكل عام، ثم تناول البحث بعد ذلك دراسة الإشارات الاجتماعية. وجاءت الدراسة التطبيقية على كتب الرّجّاج؛ لبيان مدى التقارب بين التراث العربي، وتلك الإشارات التداولية الحديثة، ثم ختم البحث بجملة من النتائج، تلتها قائمة المصادر.

أولاً : الإشارات الخطابية

يرى بعض الباحثين أن إشارات الخطاب قد تلتبس بالإحالة النصية، لذلك أسقطوها من الإشارات، على حين رأى بعضهم أنّ ثمة ضرورة للتمييز "بين النوعين فرأى أن الإحالة يتحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يحيل إليه مثل: زيد كريم وهو ابن كرام أيضاً؛ فالمرجع الذي يعود إليه زيد وهو واحد، أما إشارات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع، بل تخلق المرجع". (نحلة، 2011: 24)

فهي من خواص الخطاب التي تساهم بتواصل السياقات النصية وتماسكها مع بعضها بالإشارة إلى بعضها البعض مع اختلاف المراجع، كأن تتكلم عن قصة فتربطها بقصة أخرى عن طريق العبارات التي ترد في النص، ومنها: (ومهما يكن من أمر، لكن، بل، فضلاً عن ذلك... الخ)، فهي عند التداوليين تعد من خواص الخطاب. (نحلة 2011: 25)

وقد تستعار إشارات الزمان والمكان لتستعمل إشارات للخطاب، فكما يقال: (الأسبوع الماضي) يمكن أن يقال: (الفصل الماضي من الكتاب، أو الرأي السابق)، كما يمكن أن يقال: (هذا النص) للإشارة إلى (نص قريب) أو (تلك القصة) للإشارة إلى قصة بعد بها القول. (نحلة 2011: 24_25، وينظر: نادية رمضان النجار، 2013 ص: 94).

وهي لا تختلف عن الإشارات السابقة في اعتمادها التام على السياق الذي هو العامل الرئيس في تفسيرها والكشف عن ما تومئ إليه، فهي غامضة المعنى حتى يتم الكشف عن ما تشير إليه، وهذه المهمة تقع على عاتق السياق. كما أنها تعتمد على قدرة المرسل التواصلية في ربط الأحداث البعيدة والقريبة؛ ليسهل على المرسل إليه فهم قصده من خلال ما يملكه من كفاءة لغوية في تحليل الخطاب؛ وعلى هذا يمكن القول بأن الإشارة الخطابية تجمع

كل العناصر اللغوية التي تحيل إلى المقام التواصلي من ذات متكلمة، وزمان ومكان (ينظر: الزناد: 1993 116) ينتج فيهما الخطاب ومستقبل لذلك الخطاب، حتى تتم الفائدة التي من أجلها تم انتاج الخطاب. وهذا يقود إلى القول بأن من مهام التداولية هي حضور المتكلم الواقع السياقي واندماجه فيه على أن يكون هذا الحضور زمانياً، ومكانياً منطلقاً من الرؤية التداولية "نحن، الآن، هنا"؛ لأن التداولية بحسب موريس معنية بدراسة "ضامات التكلم والخطاب، وطرفي المكان والزمان (الآن، هنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئياً خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل". (اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة: 2010: 302). ومما جاء في معاني القرآن وإعرابه للزجاج يحمل في طياته إشارات خطابية تداولية تفسيره لقوله تعالى: **أَأَلْحَقُ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** [آل عمران: 60]. فهو يرى فيها إشارة إلى خطاب سابق فيقول: " وقوله **جَلَّ وَعَزَّ**: ﴿ الحق من ربك ﴾ مرفوع على أنه خبر ابتداء محذوف، المعنى: الذي أنبأناك به قصة عيسى عليه السلام هو الحق من ربك". (الزجاج 2005: 356/1)

على هذا تكون الآية الكريمة تحمل في بنيتها العميقة إشارة إلى نص قرآني سابق قريب لم يبعد به القول من خلال الإشارة غير الظاهرة في اللفظ وهي (هو)؛ لأن الحق خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو)، وبهذا تكون إشارة إلى الآية التي سبقتها والتي أخبر فيها الله سبحانه تعالى عن خلق عيسى (عليه السلام) وشبهه بهذه الصفة من آدم (عليه السلام) بصفتها مخلوقين من غير أب، وذلك في قوله تعالى: **أَ إِنَّ مَثَلِ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** [آل عمران: 59] .

يقول الزجاج " أن مثله كمثل آدم لأن الله أنشأ آدم من غير أب، خلقه من تراب فكما خلق آدم من غير أب كذلك خلق عيسى عليه السلام". (الزجاج 2005: 255/1)

دلالة على أن الله قادر على خلق الكائن ابتداءً من غير أصل ولا أول ولا حتى عنصر ، وليس في ذلك عجب في خلق عيسى من غير أب .

ويتبين أن الزجاج أثبت المعنى في الآية الأولى من خلال الإشارة غير الظاهرة في الآية الثانية (هو الحق) وبهذا يوافق قول التداوليين بأن الإشارات على نوعين من حيث الظهور فمنها الظاهرة في الخطاب، وأخرى غير ظاهرة بل كامنة في بنيته العميقة يكتشفها المتلقي بالاعتماد على كفاءته التداولية ، ووصفوها على أنها ذات حضور أقوى من الظاهرة (ينظر: ضبعي: 2015 : 18). وبهذا تكون رؤية الزجاج لقوله تعالى: ﴿ **أَلْحَقُ مِنْ رَبِّكَ** ﴾ فيه إشارة إلى خطاب سابق هو قوله تعالى:

أَ إِنَّ مَثَلِ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الذي هو بيان لقدرة الله عز وجل و أثبات عدم ألوهية عيسى (عليه السلام) ، إلا أن الخطاب الأول له مرجع غير مرجع الخطاب الثاني فمرجعيات التلطف " علامات تحيل إلى ملفوظيتها " (سيرفيوني 1998: 27). وبهذا يكون المرجع الأول هو (أن آدم وعيسى عليهما السلام خلقا من غير أب) ، أما الخطاب الثاني فمرجعه هو (أن الحق هو ما أخبر به من الله سبحانه) .

وبهذا يكون هناك تقارب بين نظرة الزجاج ورؤية التداوليين بوصف أن المرجعيات لها علاقة وجودية مع الموضوع الذي مثلته (سيرفيوني 1998: 28)، فالمرجع الأول علاقته بقدرة الله عز وجل وبطلان ما قالوا به الأنصار على (أن المسيح ابن الله) ، وعلاقة المرجع الثاني بإظهار الحق وبيانه للرسول الكريم محمد : ﴿صل الله عليه و آله وسلم﴾ والناس جميعاً في ما جاء عن قصة عيسى بن مريم (عليه السلام) .

ومن التقاربات التداولية الأخرى بين الزجاج والتداوليين تفسيره لقوله تعالى: **أَأَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةً غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وُلِعُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴿المائدة : 64﴾ .

إذ يرى أن ﴿فج فح فح﴾ هي نقيض لكلام سابق هو قول اليهود بأن يد الله ممسكة عن العطاء من خلال قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ .

يقول الزجاج في ذلك: " قال بعضهم: معنى { يد الله مغلولة } نعمته مقبوضة عناً ، وهذا القول خطأ ينقضه : { بل يدها مبسوطتان } . فيكون المعنى : بل نعمته مبسوطتان ، ونعم الله أكثر من أن تحصى " (الزجاج 2005 : 2 / 153).

وساعدت (بل) على نفي الخطاب الأول و تثبيت صحة الخطاب الثاني ، وهذا هو رأي النحاة القدامى في عمل ((بل)) يقول المبرد : " (بل) ومعناه : الإضراب عن الأول ، والإثبات للثاني؛ نحو قولك : ضربت زيدا ، بل عمرو " (المبرد (د ت) : 1 / 150). تريد نفي الضرب عن زيد وإثباته لعمرو. وهذا ما قال به التداوليون: بأن المرسل قد يحتاج أن يضرب عن كلام سابق فيستخدم (بل) (نحلة 2011: 25). فالزجاج أهتم بالسياق اللغوي من خلال تفسيره لـ (بل) على أنها ردُّ لقولهم { يد الله مغلولة } و إنكار لذلك ونفي البخل عنه وإثبات السخاء له، معتمداً بذلك على افتراض قرب المستمع مفاهيمياً من السياق اللغوي ، وهذا يتقارب مع قول التداوليين بأن التداولية تركز على "أن المتكلمين يحددون مقدار ما يحتاجون قوله بناءً على افتراض قرب المستمع أو بعده مادياً أو اجتماعياً أو مفاهيمياً" (مرتضى جبار كاظم 2015 : 17 ، وينظر: جورج يول 2010: 19-20). وفي قول الزجاج " بل نعمته مبسوطتان " (الزجاج 2005: 2/ 153) ونعم الله لا يمكن أن تحصى فكيف قال: (نعمته)؟ وجواب ذلك هو إشارة إلى نعمة الدنيا ونعمة الأخرى، أو إشارة إلى النعم الظاهرة في الدنيا والنعم الباطنة (ينظر : القرطبي 1964 : 8 / 84).

فأكتفى الزجاج بقوله: " بل نعمته مبسوطتان ، ونعم الله أكثر من أن تحصى " (الزجاج 2005: 153/2)، وترك للمتلقي أن يستدل من ذلك المعنى الكامل لما يقصده المرسل من الآية الكريمة ، وهذا ما جاء به التداوليون الذين يرون بأن التداولية تهتم بدراسة قدرة المتكلم في إيصال أكثر ممّا يقول ، إذ أنها تدرس "الكيفية التي يصوغ من خلالها المتلقي استدلالات عن ما يُقال للوصول إلى تفسير المعنى الذي يقصده المتكلم. أي أنها تبحث في كيفية إدراك قدر كبير ممّا لم يتم قوله على أنه جزء ممّا يتم إيصاله " (مرتضى جبار كاظم 2015: 17).

كما أن السياق قد كان له دور مؤثر في إحالة الخطاب الثاني إلى الأول في الآية الكريمة على رأي الزجاج فيما نقل ، يقول : " وقال بعض أهل اللغة : إنما أُجيبوا على قدر كلامهم ، كما قالوا يدُ الله مغلولَةٌ ، يريدون تبخيل الله . فقيل : { بل يدها مبسوطتان } أي هو جوادٌ " (الزجاج 2005 : 153/2-154).

وهذا يدل على أن قوله تعالى : ﴿بل يدها مبسوطتان﴾ هي ردٌ على قول اليهود أن الله بخيل وأن يده مقبوضة من العطاء ، وإنما قالوا ذلك لما نزل قوله تعالى: أَمْ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا [البقرة/ 245، الحديد/11]. فقال اليهود إنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ ﴿صل الله عليه وآله وسلم﴾ فقير يستقرض منا (الطوسي 1963 : 3 / 580)؛ لذلك نزلت هذه الآية الكريمة. وعلى هذا تكون الآية الكريمة في سورة المائدة كلها هي إشارة إلى الآية 29 من سورة الأسراء المذكورة آنفًا ، وبهذا تكون إشارة خطابية أخرى إلى قصة قد بعد بها القول وهذا ما قال به التداوليون (ينظر نحلة 2011 : 25). وبالرجوع إلى الآية في سورة المائدة نجد أن المقام هو الذي حدد التواصل التداولي بين الخطابين القرآنيين في الآية المباركة، فالمقام على رأي التداوليين هو " المفسر الوحيد والحقيقي للمعاني المضمنة في الأقوال والتي تعجز الجملة تركيباً وبنية ومعجماً عن إجلائها " (نرجس باديس 2009 : 21-22). ويتضح من تفسير الزجاج أن الخطاب الأول مرجعه هو (كذب اليهود في قولهم بما ينسبون إلى الله من بخل). أما مرجع الخطاب الثاني فهو (صدق قول الله وسخاؤه) ، فهما مرجعان متناقضان ومتباعدان. كما أن هذين الخطابين في سورة المائدة قد أشارا مجتمعياً إلى الخطاب القرآني في سورة الأسراء والذي ذكر آنفًا ، والمقام هو الذي تكفل في بيانه وتفسيره .

ومن ملامح التقارب التداولي للإشارات الخطابية عند الزجاج تفسيره لقوله تعالى: أَوَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرُؤُوسِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ [البقرة: ١٠٢].

فهو يقول في تفسير ذلك : " ما كانت تتلوه، والذي كانت الشياطين تلتته في ملك سليمان كتاب من السحر فلبهت اليهود وكذبهم ادعوا أن هذا السحر أخذه عن سليمان وأنه اسم الله الأعظم، يتكسبون بذلك، فأعلم الله - عزَّ وجلَّ - أنهم رفضوا كتابه واتبعوا السحر، ومعنى على (ملك سليمان)، على عهد ملك سليمان (عليهم) فبرأ الله - عزَّ وجلَّ - سليمان من السحر، وأظهر محمداً - صلى الله عليه وسلم - على كذبهم وقال: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ). لأن الله جعل الإتيان من سليمان بالسحر كفرةً فبرأه منه، وأعلم أن الشياطين كفروا فقال: (وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا) (يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ)" (الزجاج 2005 : 162/1).

وفي هذا إشارة إلى أن (لكن) فصلت بين خطابين الأول نفي قول اليهود بأن سليمان (عليه السلام) قد كفر لعمله بالسحر، والثانية إثبات كفر الشياطين لتعليمهم الناس السحر. وبذلك يكون الخطاب الثاني قد أشار إلى الأول إشارة خطابية ، وكأنه ذكر قصة سليمان فدعي الموقف المقامي إلى ذكر قصة الشياطين، ولكن فصل بينهما بـ (لكن) لأنه استدرك على الخطاب الأول بالخطاب الثاني بوساطة حرف الاستدراك المذكور وهذا ما تقول به

الإشارات التداولية الخطابية (ينظر: نحلة 2011: 24 – 25). والجدير بالذكر أن المقام ساعد في إظهار تلك الإشارة الخطابية ، فاليهود زعموا أن سليمان (عليه السلام) إنما ملك الملك وسخر الجن والإنس وكذلك تسخيره للوحوش والطيور وما أتى به من خوارق لم يكن ذلك إلا من خلال السحر الذي هو جزء من ما في أيديهم من سحر . فرد عليهم القرآن بأنه كفرٌ بالله (سبحانه وتعالى) و أنّ سليمان ما كان يعمل بالسحر البتة ، وأنّ سليمان نبي معصوم والمعصوم لا يكفر (ينظر: الطباطبائي 1997 : 232/1)، فكان ذلك هو السياق المقامي الذي استدعى نزول قوله تعالى : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ وذلك رداً وإنكاراً لما قال به اليهود للنبي محمد ﴿ صل الله عليه وآله وسلم ﴾ عن سليمان (عليه السلام) ، وتبرأته من تهمة السحر ، ثم قال تعالى : ﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾ ، فيرى الزجاج أنه أخبار عن كفر الشياطين " وأعلم أن الشياطين كفروا " (الزجاج 2005 : 162/1)؛ لأن لكن " توجب بها بعد النفي " (سيبويه 1988 : 232 / 4). وهو خطاب موجه إلى النبي محمد ﴿ صل الله عليه وآله وسلم ﴾ ، يخبره بكفر الشياطين لتعليمهم الناس السحر .

وإذا علم أن عمل لكن هو " للاستدراك بعد النفي ولا يجوز أن تدخل بعد واجب إلا لترك قصة تامة نحو قولك جاءني زيد لكن عبد الله لم يأت ، وما جاءني زيد لكن عمرو" (المبرد (ت د): 150/1 ، وينظر : ابن السراج 1996 : 57 / 2)، كما أنها إذا وقعت بعد النفي تعمل عمل (بل) (ينظر ابن الوراق 1999 : 379 / 1). فصار الخطاب الثاني متصلاً بالخطاب الأول الذي ينفي السحر من سليمان {عليه السلام} ، من خلال التضاد بين الإثبات والنفي بينهما .

وهذا التفسير للخطابين القرآنيين في الآية الكريمة من قبل الزّجاج فيه إعمال للعقل ومن ثم يدعو إلى تحريك الذهن عند المتلقي للوصول إلى الحقيقة من خلال التفكير بمضامين الألفاظ والتراكيب وفهم أكثر مما يقال من خلال ربط الاسباب بالمسببات، وهذا يقترب من مفهوم التداولية الذي " ينطلق من أنها طريق في التفكير تبحث عن معنى الإشارات والعلامات وكل روابط الاتصال اللغوية وغير اللغوية، مستتدة في ذلك على المنطق وإعمال العقل، وربط الدال بالمدلول فهي تنقل الواقع، وتكون وسيلة من وسائل الاتصال، كما تهدف إلى إرساء قواعد عامة للفعل وعلاقته بالمحيط والواقع، وربطه بالفكر لهدف التواصل والاتصال والتبليغ" (سحايلة (ت د): 16). كما أن الاستدراك على كلام سابق عده التداوليون إشارة خطابية (ينظر نحلة 2011: 25). والملاحظ من اتصال الخطابين بمقام واحد، وإشارة الثاني إلى الأول، وتقارب المسافة اللفظية بينهما، واشتراكهما المكاني والزمني، وكل ذلك لم يجمعهما بمرجع واحد ، فكل خطاب مرجع يختلف عن الخطاب الآخر ، فالأول مرجعه الإيمان بالله وبراءة سليمان من تهمة السحر. أما الثاني فمرجعه عكس مرجع الأول وهو الكفر بالله وإثبات السحر للشياطين. وهذا الاختلاف بالمرجع هو الذي يميز الإحالة النصية اللسانية التي تحيل إلى نفس المرجع، عن الإشارة الخطابية التداولية التي لا تحيل إلى ذات المرجع ، بل تخلق مرجع جديد (ينظر نحلة 2011: 25).

ثانياً : الإشارات الاجتماعية

هناك مصطلحات متداولة بين المتكلمين والمخاطبين عبارة عن ألفاظ وتراكيب معينة، وجدت هذه المصطلحات لوجود (علاقات اجتماعية، أو وظيفية) مختلفة بين المتكلمين والمخاطبين، ومن هذه العلاقات ماهي علاقات رسمية أو علاقات غير رسمية (علاقة ألفة ومودة) (نحلة 2011: 25):

ويمثل العلاقات الرسمية الضمير (أنتم) للمفرد المخاطب، و(نحن) للمفرد المعظم لنفسه "أو الذي يدل على الجمع بين طرفي الخطاب" (الشهري، 2004: المقدمة Vii). وكذلك صيغ التبجيل ومراعاة المسافة الاجتماعية بين المتخاطبين والمحافظة على الصيغ الرسمية أثناء الحوار (ينظر : نحلة 2011 : 26). ومن هذه الإشارات أيضاً الألقاب واستعمال الكنى، وكذلك استعمال بعض الألفاظ التي تعبر عن طبقة اجتماعية معينة في المجتمع كقولك : (حامل) فتدل على الرقي والتأدب، و (حبلى) فهي مبتذلة، "والقرآن الكريم أقتصر على استعمال الأولى" (أحمد مختار عمر 2006 : 288)، وكذلك استعمال " كنيف، ومرحاض، ودورة مياه، والتواليت، والحمام، عقيلته، وحرمه، وزوجته، وأمراته" (أحمد مختار عمر 2006 : 288). فهذه الألفاظ تتفاوت في درجة التلطف ولكل منها بيئة خاصة؛ فالدلالة الاجتماعية قد تختلف من لفظة إلى أخرى. وللمرسل براعة استعمال المعيار الاجتماعي الذي يُعنى بالعلاقات التخاطبية بين المتخاطبين والتي تتراوح بين القرب والبعد أو بين العلو والدنو(ينظر: الشهري 2004: المقدمة Vii).

ويعبر المرسل عن العلاقات من خلال الإشارات الاجتماعية التي مر ذكرها . وتعد هذه العلاقات من العناصر السياقية المؤثرة في إنتاج الخطاب ، ممّا يساهم في عمل قوالب اجتماعية معينة تنعكس على تشكيل الخطاب ، باختيار القالب الملائم للتعبير عن قصد المرسل(ينظر: الشهري 2004 : 88)، بحسب نوع العلاقة بين المتحاورين التي تحدد نوع الخطاب ؛ " فاختيار هذه وليس تلك ، يتعلق بالسياق في عومه، أي يتعلق بالمخاطبين وبعلاقتهم داخل السياق ، بل يتعلق بما هو خارج السياق، أي يتعلق بما يعرفه هذا المتخاطب عن الآخر، وما يعرفه المتخاطبان عن المقام ، وعمّا يريدان قوله أو سماعه ، وهما يعرفان معرفة تامة المدى الذي يمكن أن يبلغاه في الخطاب. فأحد المتخاطبين يمكن أن يكون خطيباً أو معلماً، والآخر يمكن أن يكون جمهوراً أو مستمعاً . فالعلاقات تظل هي ذاتها ، والصور يجب أن تكون مضبوطة حتى تتناسب المقام بالشكل الأقرب"(عبدالرحمن بوعلي 1994 ، ص : 74 . نقلاً من الشهري 2004 : 88)

وأن لم تكن العلاقة موجودة بين طرفي الخطاب فعلى المرسل أن يسعى إلى إيجاد علاقة معينة بخطابه ، فقد تكون هذه العلاقة هي الهدف الرئيس من وجود الخطاب فأن " القيم الدلالية للخطاب هي مدخل ممكن وهام لتحديد شبكة العلاقات الاجتماعية ؛ لأنّ التعامل مع اللغة هو تعامل مع مضامينها " (عثمان بن طالب (ت د)، ص 142).

ويمكن الوقوف على عدد من الإشارات الاجتماعية عند الزجاج، وذلك للكشف عن قدرة هذا العالم الجليل في تحليل الألفاظ تداولياً. مقسمة إلى صنفين هما :-

1 – الإشارات الاجتماعية الرسمية :

هي الالفاظ التي تدل على وجود علاقة رسمية بين المتخاطبين وتدخل فيها صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أعلى مقاماً أو أكبر سناً من المتكلم (نحلة 2011: 25)، أو للحفاظ على الحوار بين المتخاطبين في إطار رسمي، أو لمراعاة المسافة الاجتماعية بينهما. وغالباً ما تحيل إلى ذات محددة .

ومن أمثله ما نلمسه من تفسير الزجاج لقوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ { الأنعام : 79 }. فهو يرى في كلمة (حنيفاً) إشارة اجتماعية تدل على تمسك العبد بالإسلام تمسكاً لا فتور فيه . من خلال قوله : " أي مائلاً إلى الإسلام ميلاً لا رجوع معه ، والحنف أن يكون في القدم ميل ، وهو أن تميل إبهام القدم إلى إبهام القدم، فتقبل هذه القدم على هذه القدم، ويكون ذلك خِلقَةً، والحنف: الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت فيه " (الزجاج 2005 : 216 / 2). إذ يشير إلى مدى قرب العلاقة بين المرسل (إبراهيم عليه السلام) ومرجع الإشارة الاجتماعية (حنيفاً)، والذي هو الإسلام، على أن الحنف في كلام العرب هو ميل إبهام القدم إلى إبهام القدم الأخرى، وهو موضع متقارب جداً، لذلك استعمله الزجاج في هذا الموضع ليعين قرب إبراهيم من الإسلام.

وظاهر الأمر أن الكلمة لم تشر بمفردها إلى المشار إليه بل أن المرسل هو الذي أشار؛ لأن الإشارة بمفردها مبهمة مالم يتدخل فيها المرسل فيشير إلى شيء ما، أو يتدخل السياق ليزيل إبهامها، ويبقى على المرسل إليه تحديد الإشارة والمشار إليه وفهم ما يقصده المتكلم. وهذا مطابق لتعريف جورج يول للإشارة " بأنها فعل يستعمل فيه متكلم، أو كاتب، صيغاً لغوية لتمكين مستمع ، أو قارئ تحديد شيء ما " (جورج يول 2010 : 39). وهذا ما نلمسه من تفسير الزجاج على أنه فهم الآية الكريمة على أنها تحوي على إشارة اجتماعية، تكمن في كلمة (حنيفاً) التي أشار بها إبراهيم (عليه السلام) إلى اتخاذه الإسلام ديناً يتبعه، فهذه الصيغ اللغوية من أسماء علم أو عبارات اسمية معرفة أو نكرة أو ضمائر تستخدم للتعبير الإشاري (جورج يول 2010 : 39). وقد فهم ذلك الزجاج بالإضافة إلى ما يراه من تدخل المرسل في الإشارة ، هو وجود السياق اللغوي الذي وردت فيه والذي يدل عليها، وهو قوله عز وجل: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً ﴾ . فالتوجه لله هو عن طريق اتباع دينه الحق.

لذلك ساهم السياق اللغوي في فهم الإشارة الاجتماعية، فبات فهمها من قبل المرسل إليه ليس بالأمر العسير، فالناس فهموا قصد إبراهيم بما يشير إليه. على أن يكون في ذهن المتكلم أن المستمع يعرف الشيء المشار إليه.

وخلاصة ما يفهم من كلام الزجاج، أن إبراهيم (عليه السلام) قد أشار بكلمة (حنيفاً) إشارة اجتماعية رسمية ، إذ عد كلمة (حنيفاً) هي صيغة تبجيل للإسلام الذي هو من عند الله العزيز الرحيم ، لذلك حافظ على الحوار في إطار رسمي تقديساً لدين الله ، وأن كان الخطاب موجهاً إلى الكفار، وهذا ما جاءت به التداولية الإشارية (ينظر نحلة 2011 : 25 – 26). وعلى ذلك فالإشارة الاجتماعية تحيل إلى (الإسلام) الذي هو الميل عن الباطل إلى الحق، وليس ثوب (الإسلام)، ودلّ من خلال قول الزجاج بأن الحنف هو: (الميل إلى الإسلام الثابت فيه). ومن

الإشارات الاجتماعية الأخرى التي تدل على علاقة رسمية بتفسير الزجاج لقوله تعالى: **أَأَدُو مِرَّةً فَاسْتَوَى** } النجم: 6}.

فهو يرى في لفظة (مرة) صفة إلى جبرئيل ﴿عليه السلام﴾، إذ يقول: " (ذو مرة) من نعت قوله (شديد القوى)، والمرة القوة (علمه) علم النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ " (الزجاج 2005: 57/5).

إذ أنه لم يطلق عليه غير جبريل بهذا اللقب تجيلاً له وبيان منزلته العظيمة عند الله عز وجل، ويعد هذا الاستعمال امرًا تداوليًا بحثًا (ينظر: نحلة 2011: 26).

ويفهم من كلام الزجاج أن الله يشير إشارة اجتماعية رسمية إلى جبريل ﴿عليه السلام﴾ من خلال لفظة (مرة) التي تعني القوة، بقوله " وإنما المعنى استوى جبريل وهو بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية، لأنه كان يتمثل للنبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل، فأحب رسول الله أن يراه على حقيقته فاستوى في أفق المشرق فملاً الأفق، فالمعنى - والله أعلم - فاستوى جبريل في الأفق الأعلى على صورته" (الزجاج 2005: 57/5).

فالسباق يشير إلى أن المعنى يقتضي بأن تكون كلمة (مرة) كناية عن جبريل ﴿عليه السلام﴾، إذ إن هذه الآية هي متصلة بالتالي قبلها والتي يصف بها جبريل بقوله: ﴿علمه شديد القوى﴾ {النجم: 5}. والذي يعني به جبريل ﴿عليه السلام﴾.

فالسباق القرآني في توالي الآيات لم يخرج عن معرض الكلام عن الوحي المرسل من الله عز وجل. وهذا يقارب المفهوم التداولي الذي يقول أن التعابير الإشارية يعتمد تفسيرها على السياق (ينظر: جورج يول 2010: 37).

كما أن اطلاق كلمة (مرة) على جبريل ﴿عليه السلام﴾ فيها قولٌ أكثر مما قيل فهي تدل على استطاعة تنفيذ كل ما يأمر الله به جبريل من القيام بأعمال عظيمة عقلية وجسمانية، إذ أن (مرة) يراد بها قوة الذات ومثانة العقل وأصالته (ينظر: بن عاشور 1984: 17/95). وجاء في تفسير الميزان: " المرة بكسر الميم الشدة، وحصافة العقل والرأي، وبناء نوع من المرور، وقد فسرت المرة في الآية بكل من المعاني الثلاثة مع القول، بأن المراد بذي مرة جبريل" (الطباطبائي 1997: 28/19).

وهذا يطرد نسبياً مع قول جورج يول عن الإشارات: " باعتبار صغر حجمها وسعة مدى استعمالها الممكنة، فإن التعابير التأشيرية توصل دائماً أكثر بكثير مما يقال" (جورج يول 2010: 37).

وبات بعد كل هذا يمكن أن يفهم من كلام الزجاج أن كلمة (مرة) إشارة اجتماعية تحيل إلى الملك جبريل ﴿عليه السلام﴾، التي ارتبطت بأهداف أراد المرسل بيانها، وإيصالها إلى ذهن المرسل إليه، من خلال اطلاق هذه الصفة على جبريل ﴿عليه السلام﴾، وترك المرسل إليه يأخذ دور الاستدلال الصحيح في فهم قصد المتكلم من استعماله تلك الإشارة اللغوية معتمداً على قدرة المستمعين في الاستدلال الصحيح على ما يشير إليه المتكلم، وبهذا يكون تلاقي بين تفسير الزجاج والإشارات الاجتماعية التداولية (جورج يول 2010: 40).

2 - الإشارات الاجتماعية غير الرسمية :

وهي التي لا تشير إلى ذات محددة كما في الرسمية بل تشير إلى طبقة محددة عادةً، وتكون منفكة عن القيود الرسمية وتدلل على الألفة والمودة . ومن هذه الإشارات غير الرسمية ما نجده في تفسير الزجاج لقوله تعالى: **أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ {البقرة : 187}.**

فهو يرى أن هناك إشارة اجتماعية تمثلت في كلمة (الرفث) إذ يقول : " {الرفث} كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة ، والمعنى هنا كناية عن الجماع ، أي حل لكم ليلة الصيام الجماع " (الزجاج 2005 : 221/1). ومعنى كلامه، أن كلمة {الرفث} تحيل إلى كل ما يريده الرجل من زوجته، إلا أنه جاء في هذا السياق بمعنى الجماع، وهذا الأسلوب من أساليب الاتساع في اللغة العربية، قال ابن جنى: "اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بأخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه. وذلك كقول الله عز اسمه: **أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ** وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة وإنما تقول: رفثت بها، أو معها؛ لأنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء؛ وكنت تعدّي أفضيت بـ (إلى) كقولك : أفضيت إلى المرأة ، جنبت بـ (إلى) مع الرفث؛ إيذاناً وإشعاراً أنه بمعناه " (ابن جنى (ت،د): 308 / 2).

إذن هو كناية عن كل ما يستقبح ذكره من ألفاظ الجماع، وتعد هذه الكناية من أدب القرآن الكريم، باستعمال السياق القرآني لكلمة (الرفث) منعاً للتصريح بما يחדش الحياء . فالتداولية تجيز للمرسل أن يعبر عن العلاقة الاجتماعية بأدوات لغوية كثيرة كاستعمال الألقاب والكنى (ينظر: الشهري 2004: المقدمة VII). فهناك عوامل وراء استعمال كلمة (الرفث) في هذا السياق اللغوي؛ منها العامل المعنوي من خلال ربط معنى (الرفث) بمعنى (الجماع)، وعامل الأدب القرآني في اختيار ألفاظ معينة دون غيرها، كما أن الإشارة الاجتماعية لم تحيل إلى ذات محددة بل إلى زوات متعددة، فالزجاج في كلامه لم يعين شخصاً معيناً بل شمل جميع الصائمين من المسلمين، وذلك بقوله: " أي أحل لكم ليلة الصيام الجماع " (الزجاج 2005 : 221/1). لذلك عدت إشارة اجتماعية غير رسمية، تحيل إلى طبقة محددة من طبقات المجتمع، لا تحيل إلى ذات واحدة . وهذه العوامل السابقة تعد من صلب التداولية التي تهتم " بدراسة العوامل التي تؤثر في اختيار الشخص للغة وتأثير هذا الاختيار في الآخرين " (صحراوي 2005 : 30).

ويفهم من كلام الزجاج أن " الرفث " لا تحيل إلى شيء معين بل إلى كل ما يحتاجه الرجل من المرأة ، وهذا الأمر بحسب رأي التداوليين يدل على الألفة والمحبة (نحلة 2011: 25).

النتائج:

- 1_ اعتمد الرّجّاج في تفسيراته على مبادئ جاءت بها التداولية لاحقًا، منها توظيفه للسياق للكشف عن مراجع الإشارة، وكذلك اعتمد في بيان ذلك على تفسيرات نحوية لبعض المفردات الإشارية.
- 2_ نلاحظ حضور المخاطب في ذهن الرّجّاج في اغلب تحليلاته اللغوية والتفسيرية.
- 3_ لم يغفل الرّجّاج المقام التواصلية في شرح نصوصه، وهذا يعده التداوليون بعدًا تداوليًا.
- 4_ الإشارات الاجتماعية تأتي على نوعين الأول إشارات رسمية، كالتحية، وصيغ التبريل، ويكون الحوار في إطار رسمي بين المتخاطبين، ومراعاة المسافة الاجتماعية بينهما، وفي الغالب تحيل إلى ذاتٍ محددةٍ والثاني غير رسمية، تشير إلى طبقات محددة عادة، وتدل على الألفة والمحبة.

المصادر:

القرآن الكريم.

1. الإتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، نادية رمضان النجار، ط1، مؤسسة حورس الدولية، 2013م.
2. استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة- دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، بيروت- لبنان، 2004.
3. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت: 316هـ)، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.
4. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، د محمود أحمد نحلة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة ، 2011.
5. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984هـ.
6. التحليل السيميوطيقي للنص الشعري، ترجمة عبدالرحمن بوعلي، مطبعة المعارف الجديدة، ط 1 ، سنة 1994.
7. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2005.
8. التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الامان، الرباط، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010.
9. تفسير التبيان، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: 460هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف 1963م.



10. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1384 هـ - 1964 م.

11. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.

12. علل النحو، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (ت 381هـ)، محمود جاسم محمد الدرويش، ط1، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، 1999.

13. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط6، عالم الكتب، القاهرة، 2006م.

14. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب بسبيويه (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988.

15. اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني (قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين)، د. مرتضى جبار كاظم، دار ومكتبة عدنان، ط1، 1436هـ-2015م.

16. اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة، مجموعة مؤلفين، منشورات الاختلاف، الجزائر.

17. المشيرات المقامية في العربية، نرجس باديس، (د. د. ط)، مركز النشر الجامعي، 2009.

18. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، تحقيق الدكتور عبد الجليل شلبي. دار الحديث، القاهرة، 1426هـ، 2005م.

19. المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت 285هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، (د. ط)، عالم الكتب، بيروت، (د. ت).

20. الملفوظية، جان سيرفيوني، ترجمة: قاسم المقداد، (د. ط)، منشورات اتحاد الكتاب العربي، 1998.

21. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، 1997.

22. نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1993.

رسائل

1. الأبعاد التداولية في مقامات الحريري، النذير ضبعي، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015م.



بحوث

2. البرغماتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية : عثمان بن طالب، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات ، الجامعة التونسية ، تونس.
3. التداولية النشأة والتطور، عبدالحكيم سحايلة، منتدى ينبوع المعرفة، قسم الدراسات العليا والجامعية :: <http://boumansouraeducation.ahlamountada.com/t221-topic>